بامنهم وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر يعني صار الما نصفين نصف من السما ونصف من الارض وارتفع
الما على اعلى جبل واطوله اربعون ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شي وقيل انه لما كثر الما في السكك خافت ام
صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الما فارتفعت حتى بلغت
ثلثيه فلما لحقها الما ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الما الى ركبتيها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما
الما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي ونادى نوح ابنه يعني كنعان وكان في معزل عن نوح لم يركب معه يا بني اركب
معنا يعني في السفينة ولا تكن مع الكافرين يعني فتهلك معهم قال يعني كنعان ساوي يعني سالتجي واصير الى جبل
يعصمني يعني يمنعني من الما قال يعني قال له نوح لا عاصم يعني لا مانع اليوم من امر الله يعني من عذابه الا من رحم يعني الا من
رحم الله فينجيه من الغرق وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يعني كنعان وقيل يعني بعدما تناهى الطوفان
واغرق قوم نوح يا ارض ابلعي ماءك اي اشربيه ويا سما اقلعي اي امسكي وغيض الما اي ونقص ونضب يقال غاض
اذا نقص وذهب وقضي الامر يعني فرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح واستوت يعني واستقرت السفينة
على الجودي وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بعدا يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلما بالسير لما استقرت
السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجات بورق زيتون
بمنقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الما قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يالف البيوت
وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تالف البيوت وروي ان نوحا عليه السلام
ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله
من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معه في
السفينة يوم عاشورا فصامه نوح عليه السلام وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب
الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار
من الغرق غير عوج بن عنق وكان الما لم يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج
الى خشب ساج فلم يمكنه نقله فحمله عوج من الشام الى نوح عليه السلام فنجاه الله من الغرق لذلك فان
قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم غرق من لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت
التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق الدواب والهوام والطير وغير ذلك
من الحيوان ويرد عليه ذلك ايضا هلاك الامم الماضية الكافرة مع انبيائهم غير قوم نوح والجواب الثاني عن هذا
كله ان الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم
يسالون قوله عز وجل ونادى نوح ربه اي دعاه وساله وقال فقال رب ان ابني من اهلي اي وقد وعدتني ان
تنجيني واهلي وان وعدك الحق يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انك حكمت لقوم بالنجاة
وحكمت على قوم بالهلاك قال يعني قال الله تعالى يا نوح هذا الابن الذي سالتني نجاته انه ليس من
اهلك اختلف علما التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث
من غير نوح ولم يعلم بذلك فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه
نوح ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن
نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح ويدل على صحته هذا قول الجمهور لما صح عن ابن عباس انه قال لم تبغ امراة
نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه وكان نوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا

وهذا

وهذا دخل في الدلالة لان صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه
استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله خلق خلقه فريق في الجنة وهم المومنون وفريق في
السعير وهم الكافرون والله تعالى يخرج الكافر من المومن والمومن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبيا وغيرهم
فان الله اخرج قابيل من صلب ادم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب
ازر وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شا فان
قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسال له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه
وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راى تلك الاهوال انه يسلم فينجيه الله
بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني انه ليس هو من اهل دينك لان اهل الرجل
من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين
المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح قرا الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح
اللام غير بنصب الرا على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرا
الباقون من القرا عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير برفع الرا ومعناه ان سوالك اياي ان انجيه
من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعدما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز
ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون الدليل على هذه القراة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير
صالح فحذف المضاف كما قالت الخنسا فانما هي اقبال وادبار قاله الواحدي وهذا قول ابي اسحاق يعني الزجاج
وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما قالوا يجعل الشي
الشي في نفسه لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم افلاطون اذا كثر منه فعلى هذا لا حذف قوله تعالى فلا
تسالني ما ليس لك به علم وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجا ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على
الولد وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصراره على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسالة واعلمه ان ذلك لا يجوز
فكان المعنى فلا تسالني ما ليس لك به علم بجواز مسالته اني اعظك يعني انهاك ان تكون من الجاهلين يعني بمثل
هذا السوال قال يعني قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك يعني لمثل هذا السوال الجاهل الذي اعتذر اليك من سوالي
ما ليس لي به علم والا تغفر لي يعني جهلي واقدامي على سوالي ما ليس لي به علم وترحمني يعني برحمتك التي وسعت
كل شي اكن من الخاسرين فصل وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبيا وبيانه ان قوله انه عمل
غير صالح والمراد منه السوال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان
تكون من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السوال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل
صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح ظاهر
اللفظ واتبع التاويل ويقتضي هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السوال
لهذا السبب فعاتبه الله تعالى على سواله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذين وعد بنجاتهم لكفره
وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من
على سواله ربه فيما لم يوذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك ولجا الى الله عز وجل وخشع له واعاذ به وساله
المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية
من نوح عليه السلام سوى تاويله واقدامه على سوال العالم بوذنه فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية

Copyright © King Saud University